

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثالث عشر

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

المرتبة الثانية : الإيمان؛ وهو بضعٌ وسبعونَ شعبةً، فأعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان. وأركانهُ ستةٌ: أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدرِ خيره وشره . والدليلُ على هذه الأركانِ الستةِ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ودليلُ القدرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] .

قال المصنف رحمه الله تعالى : ((المرتبة الثانية : الإيمان)) ؛ المرتبة الثانية أي من مراتب الدين ، وقد مر معنا قريباً أن ديننا ثلاث مراتب وهي: الإسلام ، والإيمان، والإحسان . ومر معنا أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام قد جمع هذه المراتب كلها في حديث جبريل ، وذكر عليه الصلاة والسلام أركان كل مرتبة ، وأن الإسلام أركانه خمسة، والإيمان أركانه ستة ، والإحسان ركنٌ واحد ، وسيأتي بيانه عند المصنف رحمه الله تعالى . وهنا شرع رحمه الله تعالى في بيان أركان الإيمان الستة .

وأركان الإيمان: أي أصول الإيمان وقواعده التي لا يقوم إلا عليها ؛ فانتفأوها أو انتفاء شيء منها محبطٌ للإيمان ومبطلٌ للأعمال ، كما قال الله جل وعلا : ﴿وَمَنْ يُكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] .
أصول الإيمان أساسٌ يقوم عليها الدين قال الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] . فالإيمان أصوله وأركانه ستة وعليها قيام الإيمان ، ولا بد من هذه الأصول كاملة ، لا بد منها جميعاً ؛ فمن آمن ببعض هذه الأصول وكفر ببعض بطل دينه ، لا بد منها جميعاً فهي أصولٌ متلازمةٌ مترابطة لا ينفك بعضها عن البعض الآخر ، الإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها ، والكفر ببعضها كفر بها جميعها .

وهي أصول عظيمة ، وهي للدين بمثابة الأصول للأشجار والأسس للبيان كما قال الله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) ﴾ ؛ هذا مثل ضرب الله جل وعلا للإيمان ، وأن أصول الإيمان كأصول الأشجار لا بد أن تكون ثابتة في القلوب مستقرة في النفوس ؛ لكي تقوم شجرة الإيمان وأعماله على أساس راسخ وقواعد مستقيمة ، وأركان الإيمان ستة سيأتي بيانها عند المصنف رحمه الله .

قال : ((المرتبة الثانية : الإيمان؛ وهو بضْعٌ وسبعونَ شعبةً، فأعلاها قولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان)) ؛ بدأ رحمه الله حديثه عن الإيمان بهذا الحديث ، وهو معروف عند أهل العلم بـ«حديث الشعب» ، وقد أفرد به بعض العلماء بمصنفات خاصة في شرح هذا الحديث وبيانه ، لأن هذا الحديث جمع الدين كله .

قال : ((الإيمان بضْعٌ وسبعونَ شعبةً)) البضع : ما زاد على الواحد وما دون العشرة ؛ «بضْعٌ وسبعونَ شعبةً» أي أكثر من سبعين شعبة ، والشعبة : هي الطائفة من الشيء ، ومن المعلوم أن الطائفة من الشيء تتناول أفراداً ، فالإيمان شعبٌ كثيرة ، وكل شعبة من هذه الشعب تحتها من الأفراد من خصال الإيمان وما هو داخل فيه أيضاً شيء كثير ، فيكون الحديث فيه دلالة على كثرة خصال الإيمان وتعدد شعبه ، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن العدد في الحديث لا مفهوم له وأن المراد به التكاثر نظير قوله : ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] العدد لا مفهوم له ، لأنه لو استغفر لهم مئات المرات لا ينفعهم ، لكن هذا العدد السبعين والسبعمئة ونحوه يؤتى به للتضعيف والكثرة ، فقوله «الإيمان بضْعٌ وسبعونَ شعبةً» عند بعض أهل العلم المراد به أن الإيمان شعبه كثيرة جداً ، وبعض العلماء قالوا لا ؛ العدد له مفهوم والعدد مراد ، ولهذا اجتهد بعض العلماء في جمع خصال الإيمان وشعب الإيمان في حدود هذا العدد «بضْعٌ وسبعونَ» ، وفي رواية للحديث : ((بضع وستون)) ، فبعض العلماء جمع في حدود هذا العدد المعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ((بضْعٌ وسبعونَ شعبةً، أعلاها قولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق)) ؛ «أعلاها» : أي أعلى شعب الإيمان وأرفعها ، «وأدناها» فيه إشارة إلى أن الإيمان له أعلى وأدنى وأن شعبه ليست بمستوى واحد ولا بمنزلة واحدة بل متفاوتة ؛ لها أعلى ، وأعلى الإيمان «قولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ، ولها أدنى ، وأدنى الإيمان «إماطةُ الأذى عن الطريق» . فإذا شعب الإيمان متفاوتة .

وإذا نظرت في حال الناس مع هذه الشعب هل هم مستوون في القيام بها أو متفاوتون؟ ولهذا قال العلماء : الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف بحسب حال الإنسان مع شعب الإيمان ؛ فكلما ازداد حظاً ونصيلاً

من شعب الإيمان زاد إيمانه ، وكلما نقص نقص ، فالإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف وأهله فيه ليسوا فيه على رتبة واحدة ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ يُكُفِّرُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤] ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأفال: ٢] الإيمان يزيد وينقص ؛ ((المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف)) ، ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) ، فالإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف وأهله فيه ليسوا فيه سواء بل متفاوتون . وإذا نظرت إلى شعب الإيمان الكثيرة وأن الإيمان له أعلى وله أدنى ، ثم نظرت إلى حال الناس مع شعب الإيمان وجدتهم متفاوتون ؛ فهذا من أبين الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف .

قال : ((أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) قوله : «أعلاها قول لا إله إلا الله» أي أعلى شعب الإيمان ؛ وهذا فيه فضل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» وأنها أفضل الدين ، وأعلى شعب الإيمان ، وأعظم مباني الإسلام ، وأساس السعادة ، وسبيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ، وهي أجل الكلمات وأحسن الحسنات وأعظم القربات ، قال أبو ذر رضي الله عنه للنبي ﷺ : «أفمن الحسنات لا إله إلا الله؟» قال : ((هي أحسن الحسنات)) ، وهي أفضل الكلمات على الإطلاق كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) ، فهي أعظم الكلمات على الإطلاق ؛ ولهذا عدّها نبينا عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث -حديث الشعب- أعلى شعب الإيمان قال : ((أعلاها قول : لا إله إلا الله)) .

وما المراد بقوله : لا إله إلا الله ؟ هل المراد قولها باللسان مجرداً ؟ أهل العلم يقولون : القول إذا أطلق في الكتاب والسنة يشمل قول القلب ويشمل قول اللسان؛ مثلاً قول الله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦] ، ﴿ إِنِ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [فصلت: ٣٠] القول إذا أطلق المراد به قول القلب وقول اللسان ، أما إذا قيد فهو بحسب ما قيد به ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [المجادلة: ٨] ، ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧] إذا قيد فهو بحسب ما قيد به ، أما إذا أطلق القول فإنه يتناول قول القلب اعتقاداً وقول اللسان نطقاً وتلفظاً .

وعليه فإن قول النبي ﷺ : ((أعلاها)) أي أعلى شعب الإيمان ((قول لا إله إلا الله)) أي قولها بالقلب عقيدة وباللسان نطقاً وتلفظاً ، أما من قالها بلسانه دون اعتقاد لمضمونها بقلبه فليس هذا من الإيمان . والمنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن بماذا ؟ بطرف اللسان ، أما القلب خراب تباب ، ولهذا «لا إله إلا الله» قولها لا بد أن يكون بالقلب عقيدة وباللسان نطقاً وتلفظاً .

قال : ((وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)) ؛ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ : أي تنحيته عن الطريق ، بحيث إذا رأى المسلم في طريق إخوانه المسلمين أذى يحمله عن طريقهم لئلا يؤذيهم ؛ هذا العمل إيمان — من شعب الإيمان — والحديث صريح الدلالة في دخول الأعمال في الإيمان ، وأنها جزء من الإيمان وليست خارجة من مسماه كما يقول أهل البدع ، العمل داخل في الإيمان جزء من الإيمان . قال : ((وَأَدْنَاهَا)) أي أدنى شعب الإيمان ((إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)) ، فإِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ سماه النبي ﷺ إيماناً ، وهو عمل يقوم به الإنسان بيده ، فهو داخل في الإيمان وجزء منه ويتناوله اسم الإيمان . ولهذا قال العلماء رحمهم الله في تعريف الإيمان : «الإيمان قول واعتقاد وعمل» ، ليس الإيمان قول فقط ولا قول واعتقاد فقط بل الإيمان قول واعتقاد وعمل ؛ هذه كلها تدخل في الإيمان .

قال : ((وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)) قد يستهين بعض الناس بهذا العمل ! لكن الحديث يدل على شرفه وفضله وعظيم شأنه وأنه شعبة من شعب الإيمان وجزء من الدين ، ولهذا جاء في صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((مر رجل على غصن شجرة فيه شوك فقال : والله لا أدع هذا في طريق المسلمين فيؤذيهم ؛ فنحاه عن طريقهم ، فشكر الله عمله فأدخله الجنة)) . إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ من شعب الإيمان ، وفيه دلالة على ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان من تراحم وتعاطف وتكاتف وسعي في مصالح بعض ، وأن مثل هذا جزء من إيمانهم يشكره الله لهم ويثيبهم عليه عظيم الثواب . والناس في هذه الشعبة — أعني إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ — أقسام ثلاثة :

١ . قسم يميّط الأذى عن الطريق .

٢ . وقسم يضع الأذى في الطريق .

٣ . وقسم يدع الأذى في الطريق ؛ أي لا يميّطه .

وخير الناس من كان على هذه الشعبة العظيمة ، قال : ((وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)) ، وإذا كان من يميّط الأذى عن الطريق يؤجر ، فإن من يتعمد وضع الأذى في الطريق يؤزر ويأثم ، لأن هذا إيذاء للناس ولا يجوز له أن يؤذي المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] والإيذاء متفاوت .

قال : ((وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ)) والحياء خلّة عظيمة وخصلة مباركة من نُزعت منه فارقته الخير ، و((مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) ، فالحياء إذا فارق الإنسان فارقته الخير — والعياذ بالله — ، وإذا كان عنده حياء فحيأؤه يحجزه ، ولهذا قال العلماء : الحياء خصلة كريمة تحجز عن الرذائل وتمنعه من الخسائس وتسوقه إلى الخيرات .

رأى النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء يقول له : لا تستحي ، يعظه في الحياء ، فقال النبي ﷺ : ((دعه؛ الحياء لا يأتي إلا بخير)) وفي رواية قال : ((الحياء خير كله)) ؛ إذا كان الإنسان يستحي فحياءه يجلب له الخيرات ويحجزه بإذن الله عن المعاصي والشرور والآفات .

ولهذا ينبغي على الإنسان أن ينمي الحياء في قلبه ويقويه في نفسه ، وأعظم الحياء وأكبره وأجله أن تستحي ممن خلقك جل وعلا ؛ الذي يراك حين تقوم ، يراك أينما تكون لا تخفى عليه منك خافية ، يطلع عليك ، يرى سرّك وعلنك ، يعلم ما يخفي صدرك ، لا تخفى عليه منك خافية ، وهو الذي أمدك بالسمع وأمدك بالصحة وأمدك بالقوة وأمدك بالجسم وأمدك بالمال وأمدك بالمسكن ، أمدك بكل النعم ؛ فأعظم الحياء أن تستحي من الله ، قال عليه الصلاة والسلام : ((استحيوا من الله حق الحياء)) قالوا : «إنا نستحي من الله» قال : ((الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وأن تذكر الموت والبلى)) ؛ هذه حقيقة الحياء من الله ؛ يكون حافظاً لرأسه حافظاً لبطنه ، الرأس فيه الحواس فيه السمع ، تحفظ بصرك ، تحفظ سمعك ، تحفظ لسانك ، تحفظ بطنك من أن يدخل فيه الحرام هذا هو الحياء من الله . من السهل على الإنسان أن يقول : أنا أستحي من الله ، هذه الكلمة سهلة على اللسان وليست العبرة بالدعاوى ، ولهذا ينبغي على العبد أن يكون في كل وقت وحين على حياء من الرب العظيم والخالق الجليل ، وإذا دعت نفسه إلى معصية أو إلى حرام أو إلى إثم فعليه أن يستحي من الله ، بعض الناس يترك المعصية حياء من الناس وإذا خلا فعلها ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] . وإذا عمّر القلب بالحياء من الله سبحانه وتعالى صلحت الأعمال وزكى العبد بالطاعات وأنواع القربات .

قال : ((والحياء شعبةٌ من شُعَبِ الإيمان)) ؛ الحياء عمل ومكانه القلب وتظهر آثاره على الإنسان ، وأشدّ عباد الله تبارك وتعالى حياءً نبينا محمدٌ عليه الصلاة والسلام ، ونعته بعض الصحابة في ذكر حيائه عليه الصلاة والسلام قال : «كان أشد حياء من العذراء في خدرها» ، والعذراء التي في الخدر مضرب المثل في الحياء ، وفي كثير من الناس في مثل هذا الزمان العذراء الصغيرة المقبلة على الزواج مضرب المثل في قلة الحياء الآن في كثير من الأماكن إلا من رحم الله ، بينما التي قاربت الزواج تستحي حتى من والدها ، شديدة الحياء ولا يخطر ببالها أن ترى الرجال أو يراها الرجال من شدة حيائها ، والآن ترفع صوتها فوق صوت الرجل ولا تبالى ! وتخطب الرجال والكبار والصغار كأنها رجل .

قال : ((والحياء شعبةٌ من شُعَبِ الإيمان)) هذا فيه أن الحياء إيمان وهو عمل قلبي ، فأفاد الحديث أن أعمال القلوب أيضاً داخلة في مسمى الإيمان ، أعمال القلوب مثل : الحياء والتوكل والخشية والخوف

والرجاء ونحو ذلك هذه أعمال في القلب وهي من الإيمان وداخلة في مسماه ؛ ولهذا الإيمان يتناول العقائد والأعمال التي تكون في القلب ، ويتناول الأقوال التي تكون باللسان ، ويتناول الأعمال التي تكون بالجوارح .

وهذه الشعب للإيمان أشرت أنها ليست على درجة واحدة ، ولهذا قسّمها بعض العلماء إلى أقسام ثلاثة من حيث تأثيرها على الإيمان وجوداً وعدماً ، وزيادة ونقصاً ؛ فذكروا أنها تنقسم إلى أقسام ثلاثة :

■ قسم إذا ذهب ذهب الإيمان كليةً وأصبح الإنسان كافراً بالله .

■ وقسم إذا ذهب ذهب كمال الإيمان الواجب .

■ وقسم إذا ذهب ذهب كمال الإيمان المستحب .

فهذه تنقسم في تأثيرها على الإيمان إلى أقسام ثلاثة : قسم منها إذا فقد أو انتفى انتفى الإيمان ، وقسم إذا انتفى انتفى الإيمان الواجب ، وقسم إذا انتفى انتفى الإيمان المستحب . والواجب على العبد والمطلوب منه أن يجاهد نفسه في تكمل دينه وتتميم إيمانه والمحافظة عليه عقيدةً وقولاً وعملاً .

قال : ((وأركانهُ ستّة)) ؛ الإيمان شعب كثيرة كما تقدم في حديث الشعب ، لكن هذه الشعب الكثيرة للإيمان تقوم وتبني على أركان ستة ، وهي كما قدمت للإيمان بمثابة الأصول للأشجار والقواعد للبيّان ، وهي : ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) ، ثم ذكر الدليل على هذه الأركان الستة من القرآن قال : ((والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَتَّكُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ ، ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾)) .

❖ قوله رحمه الله : ((وأركانهُ ستّة: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ)) هذا الأصل الأول من أصول الإيمان ، وهو أصل أصول

الإيمان وأعظمها على الإطلاق ، وبقية أصول الإيمان تبع لهذا الأصل ، كما قال الله تعالى : ﴿كُلُّ

آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، قوله ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ هذا دليل على أن هذه

الأصول تبع لأصل الأصول وهو الإيمان بالله جل وعلا . والإيمان بالله: هو الإيمان بوحداية الله تعالى في

ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته ؛ ولهذا قال العلماء : أركان الإيمان بالله ثلاثة :

الأول : الإيمان بوحداية الله في ربوبيته ؛ بأن تعتقد اعتقاداً جازماً أن الله جل وعلا رب العالمين ، لا رب

لهم سواه ولا خالق إلا إياه ولا مدبر إلا هو ، المتصرف، المعطي المانع ، الخافض الرافع، القابض الباسط ،

الذي بيده أزمة الأمور .

والركن الثاني للإيمان بالله : الإيمان بوحديته في أسمائه وصفاته ؛ بأن تثبت لله جل وعلا الأسماء الحسنى والصفات العلى الثابتة في كتابه وسنة رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وأن تنفي عنه جل وعلا ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ على حد قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

❖ والأصل الثاني من أصول الإيمان : الإيمان بالملائكة ؛ ملائكة الله وهم جند الله خلقهم من نور لا يعصون الله جل وعلا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . والواجب الإيمان بهذا الخلق وإن لم نرهم ، واعتقاد وجودهم ، والإيمان بأسمائهم وأوصافهم ووظائفهم ؛ نؤمن بذلك كله في ضوء كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل . ومن حيث الجملة يجب علينا فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة أن نؤمن بأربعة أشياء وهي: الأسماء ، والأعداد ، والأوصاف ، والوظائف . فهذه الأربعة إليها يرجع ما يُطلب من العبد الإيمان به تجاه الملائكة ؛ فنؤمن بأسماء الملائكة ، وأعداد الملائكة ، ووظائف الملائكة ، وأوصاف الملائكة إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل . يعني إذا فصلت لنا أسماء نؤمن بها ؛ جبريل ، إسماعيل ، ميكائيل . فصلت لنا أعداد نؤمن بها ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المائدة: ١٠٩] هذا عدد نؤمن به . فصلت لنا أوصاف نؤمن بها يقول عليه الصلاة والسلام : ((رأيت جبريل وقد سد الأفق وله ستمئة جناح)) ، ((أذن لي أن أحدثكم عن أحد الملائكة ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه تحفق فيه الطير سبعمئة سنة)) أي أنه لو طار طير من العاتق إلى شحمة الأذن يحتاج إلى سبعمئة سنة طيران إلى أن يصل إلى شحمة الأذن ، فهذه الأوصاف نؤمن بها .

الوظائف -وظائف الملائكة - نؤمن بها إجمالاً وتفصيلاً ؛ إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل ، وأنهم لا يعصون الله فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويقوم كل ملك بما وكل إليه على التمام والكمال ؛ فهذا كله نؤمن به ، والإيمان به ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول الدين .

❖ والركن الثالث : الإيمان بالكتب ؛ أي المنزلة على الرسل ، «بالكتب» أي كلها ما علمناه منها وما لا نعلمه ، ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٠٥] أي بكل كتاب أنزله الله على أي رسول ، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥] فنحن نؤمن بالكتب المنزلة ، نؤمن بأنها وحي الله وتنزيله ، نؤمن بأن الذي تكلم بها هو ربنا جل وعلا ، هي كلامه سبحانه ، نؤمن بها بأنها اشتملت على هداية الخلق وبيان الحق وإرشاد الناس للخير ونهيهم عن الشر والضلال ، نؤمن بأن من آمن بالكتب وحقق ما

جاءت به فهو السعيد ، ومن لم يؤمن بها فهو الخاسر، نؤمن بأن كتب الله جل وعلا متفقة مؤتلفة ليست مختلفة؛ يؤيد بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض وكلها تدعو إلى الإيمان بالله والإيمان بوحداية الله جل وعلا أنه المعبود بحق وتدعو إلى هذه الأصول العظيمة والأسس المتينة وقد يكون بينها شيء من الفروقات في الشرائع ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ، ونؤمن بأن الكتب المنزلة ختمت بالقرآن ، وكما أن نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين فالقرآن خاتم الكتب المنزلة ، وكما أنه لا نبي بعده فلا كتاب منزل بعده عليه الصلاة والسلام ، ختمت الكتب بالقرآن الكريم كما أن النبوات ختمت بنبوته عليه الصلاة والسلام .

ونؤمن بالقرآن إيماناً خاصاً ؛ فهو كتاب الهداية لهذه الأمة ، ولا يجوز العمل بالكتب الذي قبله لأنه نسخها ، وهو المهيمن عليها وهو الشاهد لما قبله والمصدق لما بين يديه والناسخ للكتب التي قبله ، وبعد نزول القرآن لا يعمل إلا بالقرآن ، وبعد بعث محمد عليه الصلاة والسلام لا يتبع إلا محمد عليه الصلاة والسلام ، قال : ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان حقاً على الله أن يدخله النار)). . نؤمن بالقرآن أنه كتاب هداية ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠] نصدق بأخباره ونعمل بأوامره وننتهي عن نواهيه ونهتدي بهداه ، وهو كتاب عز للأمة وسعادة ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢٠] أي بل أنزلناه لتسعد ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿[طه: ١٢٣-١٢٤] .

❖ والأصل الرابع : الإيمان بالرسل الكرام ؛ رسل الله جل وعلا ، وهم صفوة الخلق وخيارهم ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فهم صفوة الناس اختارهم الله على علم ، وهم صفوة عباد الله وخيارهم ؛ بعثهم الله جل وعلا بالرسالة وجعلهم مبشرين ومنذرين ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .

نؤمن بالرسل كلهم بدأ من أولهم إلى خاتمهم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، نؤمن بأنهم رسل الله وأنهم دعاة الحق والهدى ، وأنهم قادة الأمة وأئمة الهدى ، وأن من اتبعهم وسار على نهجهم سعد في الدين والآخرة ، ومن لم يتبعهم خسر خسراً مبيناً ، ونؤمن بأنهم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ونؤمن بأنهم متفاضلون ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] ، وأفضل الأنبياء الرسل ، وأفضل

الرسول أولو العزم من الرسل وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، وأفضل أولو العزم من الرسل : مُحَمَّد ﷺ ؛ فهو سيد الأولين والآخرين .

والرسول إنما بعثوا ليطاعوا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤] ؛ ولهذا الإيمان بهم : طاعتهم فيما يأمرون ، والانتهاء عما عنه ينهون ، وتصديقهم فيما يخبرون به ؛ هذا معنى الإيمان بالرسول ، وهو الركن الرابع من أركان الإيمان .

❖ الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر ؛ والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت ، لأن من مات قامت قيامته وبدأت مراحل الدار الآخرة في حقه ، ولهذا أول ما يدرج القبر يبدأ النعيم أو العذاب ، أول ما يدخل قبره يأتيه ملكان ويجلسانه ويقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ، اسمهما المنكر والنكير لأتينا على هيئة منكرة غير معهودة ، ويسألان أسئلة محددة ثلاثة : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ ، ولأجل هذا ولأجل النصح في هذا الباب كتب المصنف رحمه الله هذه الأصول الثلاثة في بيان هذه الأصول : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ نصحاً للعباد ومعدرة إلى الله جل وعلا .

فالإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت ؛ بد من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، النفخ في الصور ، البعث والنشور ، القيام لرب العالمين ، الحشر ، الميزان ، الصراط ، الجنة ، النار ؛ كل التفاصيل التي جاءت في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت الإيمان بها هو من الإيمان باليوم الآخر . ومن لم يؤمن باليوم الآخر أو شك فيما يكون فيه من بعث أو نشور أو جنة أو نار أو حساب أو غير ذلك فهو كافر ، قال الله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] ، فالبعث والقيام والجزاء والحساب والصراط والدواوين والميزان والجنة والنار كل ذلك حق والإيمان به هو من الإيمان باليوم الآخر وهو ركن من أركان الإيمان .

وكثيراً ما يقرن الله جل وعلا بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر في آيات ، وأيضاً يأتي في السنة ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)) ؛ يُقرن بينهما لأن الله عز وجل هو المقصود ، واليوم الآخر هو اليوم الموعود يوم الجزاء والحساب والعقاب ، فالمقصود هو الله بالعبادة ، ويوم القيامة هو يوم الجزاء والحساب على ذلك . والناس في الإيمان باليوم الآخر على درجتين : درجة الإيمان الجازم ، ودرجة الإيمان الراسخ . الإيمان الجازم هي الدرجة التي ليس بعدها إلا الشك والكفر ، والإيمان الراسخ هو الإيمان المتمكن بالقلب الذي عُمر القلب به وملئ به وثبت في القلب ثبوتاً ورسخ رسوخاً ، وهذا الإيمان الراسخ هو الذي يؤثر التأثير القوي

في العبد صلاحاً في أعماله واستعداداً ليوم لقائه لربه جل وعلا ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] . فالعبد أعماله وأموره وطاعاته كلها يلقي الله بها ، فإن كان مستحضراً لليوم الآخر زاد في العمل ، قال علي عليه السلام : «ارتحلت الآخرة مقبلة وارتحلت الدنيا مدبرة ، ولكل منهما بنون» يعني في أبناء الدنيا وفي أبناء الآخرة « فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغد حساب ولا عمل » .

الحج يذكر باليوم الآخر ولا سيما الوقوف في صعيد عرفة واجتماع الخلق من أنحاء الدنيا وعلى صعيد واحد وفي أرض واحدة أرض منبسطة ؛ فهذا يذكر باليوم الآخر ، يذكر بالوقوف يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا ، والذين يقفون على صعيد عرفات تركوا دنياهم في بلدانهم ، والذين يقفون أمام الله جل وعلا ليس معهم من الدنيا شيء ، ولهذا الذي يرجع من بلده بعد الحج عليه أن يستفيد من هذا الدرس وأن يكون دائماً على ذكر للإيمان باليوم الآخر ، وهذه وصية الله جل وعلا لعباده عند الفراغ من الحج ، عندما تقرأ آيات الحج في سورة البقرة تجد أنها ختمت بقوله تبارك وتعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ، خذوا هذا الدرس معكم إلى بلدانكم بعد فراغكم من الحج ؛ اعلموا أنكم إليه تحشرون ، مثلما اجتمعتم على صعيد واحد جمعكم رب العالمين من أنحاء الدنيا ستحشرون إلى الله وتقفون أجمعين الأولين والآخرين على صعيد واحد ، وستسألون عما قدمتم في هذه الحياة .

❖ قال رحمه الله : ((وتؤمن بالقدر خيره وشره)) وهذا الأصل السادس من أصول الإيمان ، الأصل السادس من أصول الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره ، والقدر قدرة الله ، القدر هو إيمانك أن الأمور بتقدير الله وتديره ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَأْمُرُ سَيِّئًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٣] ، فالأمور كلها بتقدير الله جل وعلا؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، أحاط علماً بكل شيء ووسعت قدرته كل شيء ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . فمن أصول الإيمان أن تؤمن بالقدر ، قال عليه الصلاة والسلام : ((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس)) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك » هكذا - وضع كفه على ذقنه - عليه السلام قال : حتى وضعك كفك على ذقنك هذا بقدر يعني قدره الله عليك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف

سنة ، اجتماعنا هذا قدّره الله قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) ، كل ما يكون في هذا الكون من حركة وسكون وقيام وقعود وذهاب ورواح وكفر وإيمان وطاعة وعصيان كل ذلك كُتب ((إن الله كتب مقادير الخلائق)) ، وفي القرآن : ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] ، فالله عز وجل كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣] ، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] .

فيجب على العبد أن يؤمن بهذا الأصل ومن لم يؤمن بالقدر فهو كافر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : «القدر نظام التوحيد» يعني لا ينتظم التوحيد إلا بالإيمان بالقدر ، قال : «الإيمان بالقدر نظام التوحيد ؛ فمن وحد بالله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده» بمعنى أنه لا يكون مؤمناً بالله إلا إذا آمن بأقدار الله سبحانه وتعالى ، ولما قيل لابن عمر رضي الله عنهما عن أقوام يقولون : الأمر أنف ولا قدر ؛ قال ابن عمر : «أخبرهم أنني بريء منهم وأنهم مني براء ، والذي نفسي بيدي لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما تقبله الله منه ما لم يؤمن بالقدر» ، الأعمال كلها لا تقبل ؛ الصدقات لا تقبل ، الصلوات لا تقبل ، الحج لا يقبل إذا لم يؤمن بالقدر ، القدر أصل من أصول الإيمان لا يقوم الإيمان إلا عليه ﴿وَمَنْ يُكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٠] .

والعلماء رحمهم الله يقولون : الإيمان بالقدر مراتبه أربعة ؛ بمعنى أن من لم يؤمن بهذه المراتب ليس مؤمناً بالقدر . الإيمان بالقدر مراتبه أربعة :

- الأولى : أن تؤمن إيماناً جازماً أن الله أحاط بكل شيء علماً ؛ علم ما كان وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر: ٧] ، تؤمن بعلم الله المحيط بالمخلوقات كلها دقيقتها وصغيرها سرها وعلنها، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤] ، خلقه للمخلوقات دليل على إحاطة علمه بها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢] خلقه لهذه المخلوقات دليل على إحاطة علمه تبارك وتعالى بها، فمن لم يؤمن بعلم الله المحيط ليس مؤمناً بهذا الأصل العظيم وليس مؤمناً بالله .

● المرتبة الثانية : الإيمان بالكتابة؛ أن الله عز وجل كتب مقادير الخلائق كلها في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] ، قال عليه الصلاة والسلام : ((أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فجرى القلم كتابةً بما هو كائن إلى يوم القيامة)) ، قال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) كل مقادير الخلائق كُتبت ، فيؤمن بالكتابة بأن كل شيء كتب في اللوح المحفوظ .

● المرتبة الثالثة : الإيمان بالمشيئة النافذة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠٠] ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] ، نؤمن بأن مشيئة الله نافذة في هذا الكون ، وأن قدرته تبارك وتعالى شاملة ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

● المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ؛ خالق الذوات والأشخاص وخالق الأفعال والحركات والسكنات ، فأفعال العباد مخلوقة لله مثل ما أن العباد أنفسهم مخلوقون لله تبارك وتعالى ، فالله تبارك وتعالى خالق كل شيء .

هذه مراتب الإيمان بالقدر ومن لم يؤمن بهذه المراتب لا يكون مؤمناً بالقدر . جمعها أحدهم في بيت فقال :
علمٌ كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين

فهذه مراتب الإيمان بالقدر . قال : ((وَأَنْ تَوُثِّنَ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى)) أي أن الله قدر كل شيء .

الصحابة رضي الله عنهم جال في أذهانهم سؤال ، ثار في أذهانهم سؤال ؛ لما علموا هذه الحقيقة سألوا النبي عليه الصلاة والسلام قالوا : « إذا كانت الأمور كتبت وقدّرت وكتب الله كل ما قدر ما هو كائن إلا يوم القيامة ففيم العمل؟ » في بعض الأحاديث قالوا : « ألا نتكل على الكتاب ؟ » مادام كل شيء مكتوب لماذا نعمل ؟ فمim العمل؟ هذا السؤال استفهام واستعلام واستيضاح وطلب للحق . وبعض الناس سؤاله في هذا المقام للاعتراض والانتقاد ، وهذا عين الضلال قال الله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] إذا كان الإنسان يسأل ويعترض على الله فهذا عين الضلال والعياذ بالله ، أما إذا كان الإنسان يسأل ليستوضح ويتبين ليسير على بينة وعلى هدى فهذا لا بأس به . قالوا : « ففيم العمل ؟ » يستفسرون ، قال : ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ فمن كان من أهل السعادة يسّره الله لعمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل

الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة)). قال : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ذكر أمرين والله لا يسعد الإنسان إلا بهما ؛ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» .

قال : «اعمل» وهذا فيه إشارة إلى أن عندك مشيئة تختار بها طريق الحق وطريق الباطل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البند: ١٠] ، لك مشيئة ومشيتك تحت مشيئة الله ، فإذا ماذا يطلب منك ؟ قال : «اعمل» يعني تحرك ببذل الأعمال الصالحة والطاعات الزاكية والقربات والبعد عن المحرمات ، واستعن بالله لأنك ميسر لما خلقت له ، اطلب عونك من الله .

ولهذا سعادتك بالأمرين : أن تجاهد نفسك بالأعمال الصالحة ، وفي الوقت نفسه تطلب العون والتوفيق والسداد والهداية والرشاد من الله ، لأن الأمر كله بيد الله ، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، ولا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل)).

فالواجب على العبد أن يكون مؤمناً بهذا الأصل العظيم وبهذا الركن المتين ، وأن يجاهد نفسه على الأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات ، وأن يسأل ربه تبارك وتعالى أن يهديه وأن يثبتته وأن يعيذه من زيغ القلوب، كان أكثر دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : يا رسول الله أو أن القلوب لتتقلب ؟ قال : ((ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه)). ولهذا يجب على العبد أن يكون دائم السؤال لربه أن يثبتته ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

لما أنهى المصنف رحمه الله ذكر هذه الأركان الستة للإيمان ذكر دليلها من القرآن قال : ((والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾)) كم ركن ؟ خمسة أركان ذكرت في هذه الآية ، ولم يذكر القدر لأنه داخل في الإيمان بالله ؛ القدر قدرة الله فهو داخل في الإيمان بالله ، ونُص عليه مفرداً في بعض الآيات كالأية التي ساقها المصنف وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ . فهذه أصول الإيمان اجتمعت في الآية .

قال : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ليس حقيقة البر في التوجه إلى الأمكنة ، حقيقة البر في الطوعية لله والامتثال بحيث إذا وجهك لشيء أو أمرك بشيء امتثلت هذه هي حقيقة البر ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البر طاعة الله وامتثال أمره وتصديق أخباره والإيمان به وبكل ما أمر بالإيمان به ؛ هذه هي حقيقة البر .

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ فذكر الله تبارك وتعالى أصول الإيمان في هذه الآية مجتمعة ، كما أنه جل وعلا ذكرها مجتمعة في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ، وجمعها في الآية ما قبل الأخيرة من سورة البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] كم أصل ذكر ؟ خمسة أركان ذكرت ، والإيمان بالقدر داخل في الإيمان بالله تبارك وتعالى ، لأن القدر كما قال الإمام أحمد قدرة الله ، والإيمان بالله جل وعلا إيمان بعلمه وإيمان بقدرته وإيمان بمشيئته وإيمان بأنه الخالق جل وعلا ، فالإيمان بالقدر داخل في الإيمان بالله تبارك وتعالى .

ثم أورد رحمه الله تعالى دليلاً مفرداً للإيمان بالقدر من القرآن وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي كل شيء أوجدناه فهو مقدّر؛ قدره الله وكتبه سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

وبهذا يكون المصنف رحمه الله أنهى الكلام على المرتبة الثانية من مراتب الدين وهي مرتبة الإيمان ، فذكر حديث الشعب ، وذكر أصول الإيمان وذكر الأدلة عليها من كتاب الله تبارك وتعالى .
والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .